بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية العراق

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
&SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF AL-QADISYA
COLLEGE OF EDUCATION

AL-QADISIYA JOURNAL FOR
EDUCATIONAL SCIENCES

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
مجلة القادسية في الآداب
والعلوم التربوية
التصنيف الدولي : ISSN 1992-1144

العدد / ١٩٩
التاريخ / / ٢٠١٦ م
١٠٤

إلى / ا.د. شاكر هادي التميمي المحترم
م.م. رائد حامد خضير المحترم

م/قبول نشر

تحية طيبة ...
يسر هياة تحرير مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية أن تعلمكم بقبول نشر بحثكم الموسوم بـ:
" خطاب المراة " في الاعداد القادمة .

أ. د. سرحان جفات سلمان
رئيس التحرير
/ / ٢٠١٦

الدراسات العليا

لاجراء اللازم لطفاً
١٠ انتظار ابراهيم حسين
٢٠١٦/١٠/١٩

نسخة منه إلى:
- أمانة التحرير.
- الصادرة .
- وحدة الرقابة.

البريد الالكتروني: journal of alaqadisia@yahoo.com
journal of alaqadisia@h

خطاب المرأة

- قراءة في كتب اخبار النساء والجواري حتى نهاية القرن العاشر الهجري –

د شاكر هادي التميمي م. م رائد حامد خضير

المقدمة :

الخطاب لغة واصطلاحاً :

الخطاب لغة: لم يخرج (**أبن منظور**) في تعريفه لمصطلح الخطاب وتحديد مفهومه عن دلالة الكلام ومعاييره، يقول: ((فهو يعني الإجابة عن شيء ما والنطق به، أو مراجعة الكلام، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ **وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[١]، وهو الحكم بالبينة أو اليمين، أو الفصل بين الحق والباطل، والتمييز بين الحكم وضده، أو الفقه في القضاء)) [٢].

وفي **الإصطلاح** فإنه يشير إلى((الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغاير ومتّحد الخواص ، على نحو يمكن معه أن تتألف الجمل في نظام بعينه لتشكّل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد)) [٣]. ومع رولان بارت– وآخرين– تبلور مفهوم الخطاب ليأخذ معنى الجملة الكبيرة، والتي ليس بالضرورة عنده أن تكون وحداتها محض جمل، وإنما المقصود بالجملة الكبيرة نظام الوحدات التي تشكّل الخطاب، مثلما لأية جملة وحداتها الصغرى التي تشكلها [٤]. وشرط الخطاب هو التفاعل، فالخطاب ((شكل لغوي في سياق تفاعلي أو تواصلي، فإن أجزئ من سياقه التواصلي، صار نصاً كنص الكتاب والأثر المدَّون، فالفرق بين الخطاب والنص أن الأوّل يزيد على الثاني بالتواصل والتفاعل بين طرفين، وأن يكون موجهاً من المتكلم (**أنا**) إلى المخاطب (**أنت**) مباشراً أو التفاتاً أو تعريضاً، والنص اللفظ المحفوظ في شكل ثابت)) [٥].

المبحث الاول : كتب اخبار النساء والجواري :

إنّ الحديث عن المرأة بوصفها خبراً في كتب (**أخبار النساء والجواري**) ينتمي إلى بنية الخبر بعدّه وسيلة من وسائل الارشفة ،[٦] عندما تجمع الاخبار التي تنتمي الى موضوع واحد في كتاب ((لملء الفراغات التي تتركها كتب التأريخ وكتب الأدب ووسائل التدوين والثقافة الاخرى))،[٧] ذلك أنّها تمكّن القارىء من تكوين صورة وافية ، كونها تشكّل خطاباً موحداً يتناول مختلف جوانب الموضوع ، خلاف ما لو كانت تلك الاخبار التي تخص ذلك الموضوع موزعة بين مصنفات عدة .

لقد إعتاد القدماء في مقدمات كتبهم ((أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل إفتتاح الكتاب وهي : الغرض ، والعنوان ، والمنفعة ، والمرتبة ، وصحة الكتاب ، ومن أي صنف هو ، وكم فيه من أجزاء وأي أنحاء التعاليم المستعملة فيه))،[٨] ولم يلتزم اصحاب كتب (اخبار النساء) بهذه العادة سوى ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وابن طيفور (ت٢٨٠هـ) .[٩]

فقد ذكر ابن قتيبة أنّ الغرض من كتابه أن تكون تلك الاخبار المتضمّن عليها كتابه ((لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً وللملوك مستراحاً من كد الجد والتعب)).[١٠] وهذا الكتاب ((وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام ، دال على معالي الامور، مرشد لكريم الاخلاق ، زاجر عن الدناءة ، ناه عن القبيح ، باعث على صواب التدبير وحسن التقدير، ورفق السياسة وعمارة الارض ، وليس الطريق الى الله واحداً ولا كل الخير مجتمعاً في تهجّد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام ، بل الطرق اليه كثيرة وابواب الخير واسعة)).[١١]

فكتاب النساء بوصفه احد عيون تلك الأخبار يمثّل طريقاً الى الله على حد تعبير المؤلف اذ الطرق الى الله ليس واحدة بل تتخذ صوراً عدة ومنها النساء ،وهنا من حقنا ان نتساءل عن علة جعل المرأة طريقاً من طرق السلوك الى الله ، هل هو الحديث الوارد عن الرسول (**صلى الله عليه وآله وسلم**) : ((كلما أزداد العبد ايماناً ،ازداد حباً للنساء))[١٢] ، أم أن هناك داع آخر. وجواب ذلك السؤال يستبطن مفارقة تكمن في جواب ابن قتيبة عن سؤالنا بطريق غير مباشر أذ أنّ ما يقرّب المرء الى الله ليس هو جنس المرأة ولا ذلك الحديث وانما هو (**جنس الخبر**) أذ أنّ غاية تلك الأخبار تتعدد بتعدد المتلقين لها :

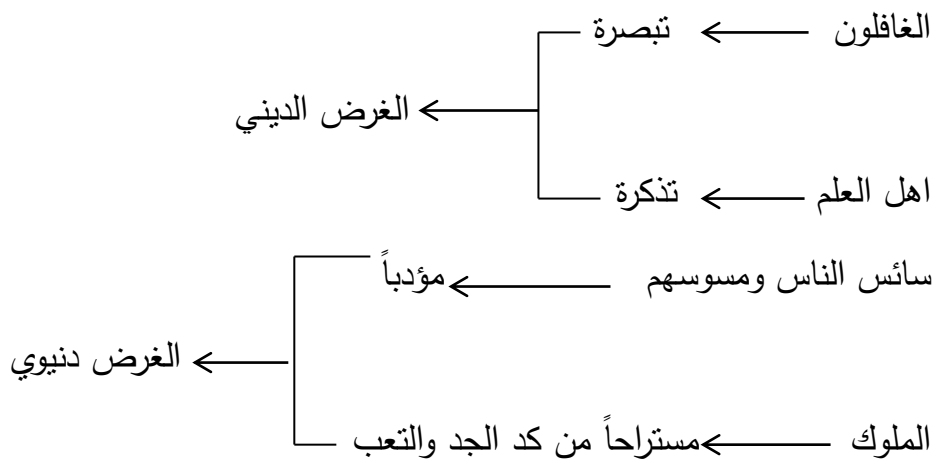

فغرض الخبر ليس واحداً ، وانما يختلط فيه الديني بالدنيوي ، فالخبر صورة من صور الماضي و((الماضي لا يحضر الا باستدعاء الحاضر له ، هذ الاستدعاء الذي يشكّل اطاراً فكرياً تتواجه داخله القيم وَتتنازع الدلالات)) [١٣] ، تلك الدلالات التي تسهم ((في بناء وعي الأمة ، وقد كان المثقف العربي على وعي بمدى ما يؤديه من دور كبير في الحياة العربية ، بل هي تنتج شكل الأمة ، وطريقة عيشها فالأمم ذاتها سرديات ومرويات)) [١٤] .

وإستدعاء خبر المرأة ربما كان لاستدعاء صورة المرأة المشرقة في التراث العربي من لدن المؤلفين **(تبصرة)** ، **(تذكرة)** ، او اتخاذ البعض منهن سلوكاً يقتدى بها لا سيما الصحابيات (مؤدباً) ، أو جعل تلك الاخبار بمثابة الترويح النفسي وإتخاذها وسيلة من وسائل التندر والطرافة **(مستراحاً)**.

اما ابن طيفور فلم تتجاوز مقدمته بضعة أسطر بيّن فيها عنوان الكتاب وغاية تأليفه ، يقول ((هذا كتاب بلاغات النساء وجواباتهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن على حسب ما بلغته الطاقة واقتضته الرواية واقتصرت عليه النهاية مع ما جمعنا من اشعارهن في كل فن مما وجدناه يجاوز كثيراً من بلاغات الرجال المحسنين والشعراء المختارين))[١٥] . ويظهر من هذه المقدمة القصيرة العنوان الذي وسم به ابن طيفور كتابه (بلاغات النساء وجواباتهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الراي منهن)) ، وهو كتاب جمع بين دفتيه **(المنظوم والمنثور)** مما بلغه من نصوص للنساء في الشعر والنثر ، وكان الدافع لعمله هذا هو أنّه وجد أنّ كثيراً من النساء قد جاوزن الرجال في بلاغتهن مما استوجب جمع تلك الاخبار وتدوينها .

وقد ((صنف ابن طيفور كتاب بلاغات النساء في القرن الثالث الهجري ، ويندرج ضمن ما يسمى بكتب المحاضرات او المصنفات الجامعة الخاصة ، وهو نموذج من التأليف المتداول آنذاك يعتمد اختيار النصوص الادبية وجمعها طبقاً لزاوية رؤية معينة، يستعان بها للمحاضرة في المجالس والاستشهاد بها في المكاتبات))[١٦] ، على ((أنّ هذا الكتاب وامثاله من المؤلفات التي لا يقصد بها ذوق فئة مخصوصة فيوضع لها وضعاً خاصاً كما توضع الكتب الدراسية مثلاً ، بل هو كروض متنوع الازهار والثمار يقتطف منه كل طالب ما يلذ له)) [١٧] .

ومن هنا فإن العرب قد حفلوا بالمرأة وأولوها عنايتهم خلافاً لمن ذهب الى أنّ ((العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهن أو يعنوا بهن ، ولم يخصوهن بالتأليف أو يفردوا لهن التصانيف)) [١٨] ، وقد وصلت الينا مجموعة من كتب (اخبار النساء والجواري) ، -موضوع الدراسة – نوردها حسب تسلسلها الزمني :-

١-أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ، للعباس بن بكّار الضّبي (ت ٢٢٢هـ) .

٢-عيون الاخبار (كتاب النساء) ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).

٣-بلاغات النساء وجواباتهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الراي منهن ، لابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ).

٤-الحدائق الغّناء في اخبار النساء ، لابي الحسن علي بن محمد المعافري (ت ٦٠٥ هـ) .

٥-اخبار النساء ، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)

٦-المستظرف من اخبار الجواري ، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ) .

وهناك مصنفات اخرى في (اخبار النساء) امتدت اليها يد الزمن ولم يصل الينا منها سوى عنواناتها :

١-كتاب اخبار النساء ، لعلي بن محمد المدائني (ت٢٢٥هـ). [١٩]

٢-كتاب اخبار النساء ، لهارون بن علي المنجم (ت٢٨٨هـ). [٢٠]

٣-كتاب اخبار النساء ، لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري (ت ٢٥٢هـ) . [٢١]

٤-كتاب اخبار النساء ، لأسامة بن منقذ (ت٥٨٤ هـ) . [٢٢]

٥-كتاب اخبار النساء ، لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن إبراهيم (ت٨٠٨هـ) . [٢٣]

بقي أن نشير الى أنّ هناك عدة مصنفات ظهرت في الآونة الأخيرة تحمل في عتبات نصها اخبار النساء وتنسب الى مؤلفين لم تعرف عنهم تلك المصنفات وهي :

١-اخبار النساء في العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) ترجمة وتحقيق : عبد مهنا ، وسمير جابر ، عن دار الكتب العلمية ، بيروت.

٢-طبائع النساء وما جاء فيهن من عجائب وغرائب واخبار واسرار ، لابن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق وتعليق : محمد إبراهيم سليم ، عن مكتبة القرآن ، القاهرة .

٣-اخبار النساء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، جمع وشرح : عبد الأمير مهنا ، عن مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

٤-اخبار النساء في سير أعلام النبلاء ، للحافظ ابو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، اعداد عبيد بن ابي نفيع الشعبي .

٥-جامع اخبار النساء من سير اعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، جمع وترتيب وتحقيق وتعليق : ابو عبد الرحمن خالد بن حسين ، عن مكتبة الرشد (**ناشرون**) ، المملكة العربية السعودية .

ولقد اهملنا هذه المصنفات وان كانت داخلة في المدة الزمنية محل البحث ، وذلك انها لا تحمل قصدية العنوان من لدن مؤلفيها – وهو شرط اتخذناه موجهاً في اختيار وتحديد المصنفات موضوع الدراسة – والا فانه لا يكاد يخلو كتاب من كتب التراث من اخبار النساء ، لذا فأن قصدية التأليف يمكن من خلالها دراسة المرأة بوصفها خبراً سردياً لمعرفة ميزات تلك الاخبار والمصنفات عن غيرها مما الف من كتب الأخبار .

المبحث الثاني : خطاب المرأة في كتب اخبار النساء والجواري

إنّ المرأة قد شغلت في التراث العربي القديم (**المنظوم منه والمنثور**) حيزاً واسعاً من العناية، فكانت المحرّك الأساس والعنصر الملهم للأدباء، لكن صورتها لم تنحصر في ذلك الدور – التحريك والإلهام– بل كانت حاضرة بوصفها أحد الموجهات الرئيسة للمجتمع العربي سواء أكان ذلك على مستوى الحياة الاجتماعية أم السياسية.

وقد شكلت كتب أخبار النساء والجواري (خطاباً)، ذلك أن للخطاب مفهومه الخاص الذي تجاوز به المفهوم الألسني البحت وهو ما تجلى في كتابات بعض المفكرين المعاصرين وفي طليعتهم الفرنسي ميشيل فوكو الذي استطاع أن يحفر لهذا المفهوم سياقاً دلالياً اصطلاحياً مميزاً عبر التنظير والاستعمال المكثف، إذ يحده فوكو بأنه شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية و السياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة[٢٤]وكانت المرأة بوصفها نصاً* حاضرة في خطاب الثقافة الخبرية بعد أن أحدثت شبكة من التفاعلات مع المتلقي (المصنف) الذي أعاد انتاجها وتصديرها للآخرين في سيرة لم تكتبها هي لنفسها، وصورة لم يُحرز الظن فيها بموافقتها لتكون سلعة لدى المستهلك الثقافي فألجمت، ليفتح الرجل (الفحل) فاه، ويتحدث بدلاً عنها، فقد ورد في الأثر أنّ ((**خير الكلام ما كان لفظة فحلاً ومعناه بكراً**)) [٢٥]. وبذا يكون نصيب الرجل من تلك القسمة الثقافية ((أخطر ما في اللغة وهو (اللفظ) بما أنه التجسيد العملي للغة والأساس الذي ينبني عليه الوجود الكتابي والوجود الخطابي لها، فاللفظ فحل (**ذكر**) وللمرأة المعنى ، ولاسيّما وأن المعنى خاضع وموجه بواسطة اللفظ وليس للمعنى من وجود أو قيمة إلا تحت مظلة اللفظ)) [٢٦]. و((بما أنّ المرأة معنى والرجل لفظ، فهذا يقتضي أن تكون اللغة للرجل وليس للمرأة، فالمرأة موضوع لغوي وليس ذاتاً لغوية))[٢٧].وفي الوقت الذي تسعى فيه المرأة إلى تأسيس (**ميثاق أنثوي**) يحمي وجودها المؤنث من تسلط الثقافة الذكورية فإن ميثاقاً جسدياً (**آخر**) يعيد رفع رأسه ليضع المرأة بين قوسين (أخبار النساء والجواري) ، وهي مصنفات من بين ما أرادت إيصاله إلى المتلقي، توصيف لجغرافية الجسد الأنثوي[٢٨].

وإذا ما كانت ((الثقافة جسداً مركبا من الأنساق فلا بد لهذه الأنساق أن تتصارع، والحس الفحولي في الثقافة الذي هو (المتن) الوجداني والعقلي لثقافتنا لابد أن يندرج من تحته مضمر ثقافي يسعى بحياء أو ربما بمخاتلة لكي يشاغب المتن ويهز بعض جدران

القلعة))[٢٩] ، ومن ثم فإنّ حفرنا في كتب أخبار النساء والجواري للبحث عن علامات زرعتها المرأة في جسد ذلك الخطاب الذكوري في غفلة من عين ذلك الفحل الذي أختار أن يكون مهيمناً عليها في خطابه ، هي مهمة رئيسة وأساسية في عملنا هذا.

وهنا من حق سائل أن يسأل قبل أن نشرع في الإجابة عن كيفيه إضمار الخطاب الفحولي حول النساء لنسق مضمر يشير إلى الضد مما اراده له ذلك الخطاب. هل كانت فكرة التجنيس البيولوجي للأخبار (**ذكوري / نسوي**) حاضرة في أذهان مصنفي كب أخبار النساء والجواري وهم يكتبون عن النساء؟

إنّ الإجابة عن ذلك السؤال تتطلب تتبع سير تأليف كل مُصنّف من مصنفي تلك الكتب، حتى يمكننا التعرف على طبيعة العقلية التي يعمل بها كل واحد من هؤلاء . ومن يتتبع خط التأليف لديهم يجد أنّ (**العباس بن بكّار الضبي**)، قد كان لديه هذا النفس التصنيفي(**أخبار الوافدات من الرجال على معاوية**)[٣٠] ، أما البقية فالأقرب إلى الصواب، انّهم انطلقوا من منطلق التصنيف الخبري لا التجنيس البيولوجي ، فهم ارادوا أن يجمعوا الأخبار التي تتشاكل فيما بينها تحت مصنف واحد، كما في فعل أبن قتيبة عندما قسّم كتابه (**عيون الأخبار**) إلى عشرة كتب، جعل تحت كل كتاب مجموعة من الأخبار التي تنتمي إلى موضوع واحد، لذا فأنني أميل إلى الرأي القائل بنسبة كتاب (**أخبار النساء**) إلى أبن الجوزي (ت٥٩٧هـ)[٣١] ؛ لأنّ الاخير لديه هذه الروح التصنيفية للخبر (أخبار الأذكياء، أخبار الأخيار، أخبار الحمقى والمغفلين، المختار من أخبار المختار)[٣٢].

اما عن الأسباب والدواعي التي كانت تقف وراء اختيار المرأة بعدها موضوعاً –في تصنيف بعينه، فبالإمكان إرجاعها إلى أمرين:

الأوّل: إظهار الصورة المشرَّفة للمرأة في عصور إزدهارها ، ولاسيما عصر صدر الاسلام، ويكمن ذلك السمو الذي وصلت إليه المرأة، حتى فرضت نفسها على الآخر في جانبين:

١–التفوق (**الثقافي**): إن الثقافة ((هي كل شامل يُظل تّحت جناحية كل القيم التي ينتجها المجتمع أو ينقلها، ليستخدمها في حياته ، وعليه فإن مفهوم الثقافة يتسع لكل أنماط القيم الروحية والمادية على حد سواء)) [٣٣] ، وقد استطاعت المرأة أن تثبت تفوقها المعرفي على الآخر(**الرجل**) في حقول حفظ لنا التاريخ زعامة الرجل فيها واقتصارها

عليه، ولم تكن تملك المرأة الا الكلمة التي استطاعت من خلالها أن تثبت من خلالها وجودها المعرفي فللكلمات ((تاريخ ، وهي ايضاً إلى حد ما، تصنع التاريخ)) [٣٤] . يروى أنّ ((عمر بن الخطاب قال ايها الناس ما هذا الصداقات (جمع صداق وهو مهر الزوجة)(•) التي قد مددتم إليها أيديكم لا يبلغني أن احداً جاوز بصداقه صداق النبي صلى الله عليه وسلم . قال: فقامت إليه امرأة برزة، فقالت: ما جعل الله لك ذلك يا أبن الخطاب وقد قال الله عز وجل **(وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا)**[٣٥] ، فقال عمر: إلا تعجبون اميراً اخطأ وامرأة اصابت، ناضل اميركم فنضل))[٣٦] ، فالملاحظ على النص اولاً الحرية التي أُتيحت للمرأة ، على الرغم من فرض الحجاب عليها، إلا أنّه لم يكن مانعاً لها في المشاركة الفعالة في بناء المجتمع والنزول إليه، كذلك حرية التعبير التي منحت لها وعدم اعتراض الخليفة على كلامها . والخبر يصور لنا تواجد المرأة مع جموع الرجال، وقد صوّبت للخليفة خطأه إثر غياب الدليل الشرعي عن ذهنه ، وهو أمر قاده إلى الإعتراف بتفوقها عليه ومجانبته الصواب في هذا المورد، فهذا الخبر إستطاع أن يرسم لنا ملامح وطبيعة المجتمع إذ((الثقافة هي الأداة الفاعلة والقادرة على رسم ملامح وجه المجتمع وعلاماته المميزة، لأنها نتاج من نتاجاته الموصلة الى نمط ثقافي مشترك وإحساس اجتماعي مشترك بوجود تشابه ما بين افراد المجتمع))[٣٧].

فقد إشتركت المرأة مع الرجل في حضور خطب الخليفة، كما سمح لها بالكلام والإعتراض ولم يكن صوتها عورة كما أوّلت النصوص فيما بعد، إذ أن ((ما وصلت إليه وضعية المرأة المسلمة في المجتمعات من تخلف وتدني لم يكن من جراء تعاليم الدين الإسلامي، بل كان من جراء سوء فهم وتفسير تعاليم الدين، والتراكمات الناجمة عن ذلك))[٣٨]. إذ أن الشريعة السمحة لم يعرف عنها إلا الإستيصاء خيراً بالنساء، ومن أن النساء شقائق الرجال ، ومن الأمر بالإحسان إلى المرأة والنهي عن ظلمها وما يتعلق بذلك من واجبات وحقوق، وما يرتبط بذلك من احكام وتشريعات[٣٩].

وفي خبر عكرشة بن الأطش ، يروى أنها دخلت ((على معاوية وهي متوكئة على عكاز لها، فسلمت عليه بالخلافة، فقال لها معاوية:

هيه يا عكرشة الآن صرت امير المؤمنين؟!

قالت: نعم إذ لا عليّ حي.....

فقال معاوية : وكأني اراك على عكازتك هذه، وقد انكفأ عليك العسكران يقولون: هذه عكرشة بنت الأطش ! فإن كدت لتؤلبين علي أهل الشام لولا ما قدر الله..... ثم قال: ما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾[٤٠]. إنّ اللبيب إذا كره شيئاً لا يحب أعادته.

قال : صدقت، اذكري حاجتك.

قالت : يا أمير المؤمنين، إن الله جعل صدقاتنا على فقرائنا ومساكيننا، فما ينتعش لنا فقير، ولا ينجبر لنا كسير، فإن كان ذلك من رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة، وراجع العقل..... قال معاوية : يا هذه، أنه تنوبنا النوائب هي أولى بنا منكم... قالت: يا سبحان الله : ما فرض الله لنا حقاً جعل فيه ضرراً على غيرنا، ولو علم جل ثناؤه أنّ في ما جعل لنا ضرراً على غيرنا لما جعله لنا وهو علام الغيوب. قال معاوية: هيهات يا أهل العراق: قد فقهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا))[٤١] . فالخبر يشير إلى مشاركة المرأة الرجل في ميدان الجهاد، وهو من اشق الميادين التي يمكن أن يخوضها انسان، وهي بعد معتدة بنفسها وأن انتهت السلطة إلى خصمها ، السلطة التي تحاول إخفاء الحقيقة ، إذ الحقيقة مرتبطة((دائرياً بإجهزة سلطة تنتجها وتحميها))[٤٢] ، فتحاول تلك السلطة أن توجّه الحقيقة حسبما تقتضيه منفعتها، غير أنّ المرأة ما تفتأ أن تحول العلاقة بين الارادة (**السلطة**) والمعرفة إلى علاقة عداء، فتسلب اعترافاً من خصمها بفقاهتها((والاعتراف – حسب فوكو– سبيل لا غنى عنه لإنتاج الحقيقة))[٤٣]، فتنقلب الادوار لتصبح معرفتها سلطة توجّه الحقيقة حيثما تريد.

ومن سلطة الخلافة إلى سلطة المعرفة ، تقف المرأة لتنافس الفحولة في ميدانها المبرز (الشعر)، وتهزمه في عقر داره بعد أن يعجز عن مجاراتها شعراً، وتنضب قريحته أمام قريحتها ، يروى أنّه قد ((دخل بعض الشعراء على عنان، فقال لها الناطفي: عابثيه،

فقالت:

سقياً لبغداد لا ارى بــلدا يسكنه الســـــاكنون يُشبهها

فقال:

كأنها فضة ممَّـــــــــوهة أخلـــــــــص تمويهها مموِّها

فقالت:

أمنُ وخفض فما كبهجتها ارغد ارضٍ عيشاً وارفهها))[٤٤].

فأنقطع وفي خبر آخر يورى أن احمد بن أبي الطاهر قال:

((دخلت يوماً على فتاة فقلتُ لها: قد قلت مصراعاً فأجيزيه : فقالت: قل، فقلب:

يا بنت حسنك يعشي بهجة القمر

فقالت:

قد كاد حسنك أن يبتزني بصري

فتوقفت افكر، فسبقتني فقالت:

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت رّيا الرياضِ عليه في دجى السحر[٤٥]

وبدا فأن المرأة قد زرعت في جسد النص، نسقاً مضمراً يظهر تفوقها على أهم معاقل الفحولة (**سلطة الارادة، وسلطة المعرفة**)، (**الخليفة /الشاعر**)، وبذلك كانت تلك الغلبة المعرفية، ووصول بعض النساء في البلاغة شأوا لا يمكن التغاضي عنه، ركيزة من ركائز اختيار المرأة موضوعاً كتابياً.

٢-المنزلة /المكانة: لما كانت الأخبار عبارة عن احداث الماضين وافعالهم واقوالهم[٤٦]، فإن هناك ثمة نقاط مضيئة من ذلك التاريخ، تحّتم الوقوف عندها ، لاستلهام العبر منها، وهو أمر ينسجم مع وظيفة الخبر بوصفه نصاً سردياً بسيطاً يتوجه إلى المتلقي برسالة تثقيفية وخلقية[٤٧] . وقد كان لمكانة بعض النساء المشرفة والمشرقة علامة فارقة في تاريخ العرب إذ حضرت المرأة في كثير من النصوص بوصفها صحابية[٤٨]، أو فقيهة[٤٩]، أو عابدة[٥٠]، ولا شك أن تلك المقامات التي حلت بها المرأة كانت بمثابة

الاسوة التي يمكن عرضها في هكذا مدونات خبرية لتكون للأجيال عبر العصور مرجعاً يقتدى بها.

الثاني: التندر والامتاع:

إنّ هذا النوع من التأليف يبتغيه العلماء ليكون ((متسراحاً لهم من كد الجد والتعب))[٥١]، فحضور المرأة في هكذا مصنفات من تراثنا العربي بمختلف نصياته لا يعدو أن يكون ضرباً من الطرائف، والنوادر والحكايات والأخبار والقصص التي يقصد بها امتاع القارئ و الترويح عنه[٥٢].

الخاتمة :

بعدما تقدم من دراسة لموضوعة المرأة بوصفها خطاباً في كتب اخبار النساء والجواري ، نختم قراءتنا بالوقوف عند اهم النتائج التي توصل اليها البحث والتي يمكن إجمالها على النحو الآتي :

- شكلّت موضوعة المرأة أحد أهم جوانب التأليف عند العرب إذ أخذت حيزاً من تفكيرهم، وما تلك المصنفات التي ألفت في المرأة آلا دليل على تلك العناية التي أولوها لها.
- إنّ المرأة وإن كانت هي محور تلك النصوص، إلا أنّ حضورها كان بوصفها معنى يعاد إنتاجه من قبل الآخر **(الرجل)**.
- حاولت المرأة إضمار نسقٍ مضادٍ _ كردة فعل اتجاه الآخر– في تلك النصوص ، تبّين من خلاله مسكها لزمام الأمور، وقدرتها على تحريك الأحداث بوصفها الفاعل الحقيقي الذي يقف خلفها[٥٣].
- شكل حضور المرأة مختلف مناحي الحياة على المستوى الأسري (الأم ، والزوجة، والأبنة، والأخت)، أو الاجتماعي (الحرة ، والأمة) ، وما يتخلل تلك المستويات من أدوار (صحابية، أم خليفة، زوجة خليفة، حبيبة،...) مما أعطى صورة واضحة عن طبيعة المجتمعات التي عاشتها تلك النسوة.
- كان حضور المرأة في كتب اخبار النساء والجواري بغية إظهار النماذج المشرقة من النساء اللواتي برزن على صفحات التاريخ لجعلهن نماذج يقتدى بهن، أو لأجل

الإمتاع إذ أنّ حضور المرأة في هكذا مصنفات كان بقصد الامتاع والترويح عن النفس.

الهوامش

(١) ص / ٢٠

(٢) لسان العرب: مادة (خ.ط.ب)، ١٣٥/٤

(٣) مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، عبد الرحمن حجازي: ١٢٨

(٤) ينظر: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص رولان بارت ، ترجمة: منذر عياشي: ٣٢

(٥) تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، د. محمود عكاشة: ١٧

(٦) ينظر: سردية الخبر العربي القديم ، عقيل عبد الحسين : ١٤١

(٧) سردية الخبر العربي القديم : ١٤١

(٨) الخطط المقريزية ، تقي الدين احمد بن علي المقريزي : ٨/١

(٩) لقد خلت بقية الكتب التي سنأتي على ذكرها من مقدمات تبّين لنا دواعي التأليف وبقية ما إعتاد عليه المؤلفون سوى العنوان . وقد اعتمدنا في إختيارنا لهذه الكتب على مقصدية المؤلف في عتبة النص بأن يكون العنوان محتوياً **(الخبر)** ، **(النساء / الجواري)** وإلّا فإن اخبار النساء في التراث العربي تأخذ حيزاً واسعاً ، اذ لا يكاد يخلو كتاب من كتب التراث منها . فقصد المؤلف في تأليف كتاب في **(اخبار النساء)** ،**(او الجواري)** هي الموجه لنا في اختيار تلك الكتب .

(١٠) عيون الاخبار ، ابن قتيبة: ١، مقدمة المؤلف (ح)

(١١) عيون الاخبار ، ابن قتيبة :١ ، مقدمة المؤلف (ح)

(١٢) اصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني : ٥/ ٢٢٠

(١٣) بلاغة التزوير ، د. لؤي حمزة عباس :٥٢

(١٤) نظام التأليف في نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، وليد مزهر انتيش الصخي : ٣٣

(١٥) بلاغات النساء :٧

(١٦) بلاغات النساء لابن طيفور **(دراسة نقدية)** ، مسعودي سعاد : ٥

(١٧) بلاغات النساء ، مقدمة المصحح والشارح : ج

(١٨) ما الف عن النساء ، صلاح الدين المنجد ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي ، مج١٦ ، لسنة ١٩٤١ : ص٢١٢

(١٩) معجم الادباء ، ياقوت الحموي : ١٣٣/١٤

(٢٠) معجم الادباء : ٢٦٢/١٩

(٢١) الفهرست ، ابن النديم : ١٥٣

(٢٢) المنازل والديار ، اسامة بن منقذ : ٥١

(٢٣) الفهرست : ١٤٣ ، وينظر للاستزادة : ما الف عن النساء : ٢١٢ ، وقد ذكر صلاح الدين المنجّد كتابين في **(اخبار النساء)** ، لابن الجوزي(ت٥٩٧ هـ) ، ولابن قيّم الجوزية ، و في الحقيقة هما كتاب واحد اختلفت نسبته بينهما.

(٢٤) ينظر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، هاجر مدقن:٩

* (النص) اصطلاحاً في الدراسات المعاصرة ((بنية شمولية لبنى داخلية، من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى إلى السياق إلى النص، ثم إلى النصوص الأخرى)، الخطيئة والتكفير **(من البنيوية إلى التشريحية)** ، عبد الله الغذامي:٩٠، وما أردته ههنا ليست تلك الدلالة الاصطلاحية، بل تعامل مصنفي كتب أخبار النساء والجواري مع المرأة بعّدها مادة كتابية، يصوغها المصنف كيفما شاء.

(٢٥) عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، إحسان عباس:٢٩

(٢٦) المرأة واللغة، د. عبد الله الغذامي:٧

(٢٧) المرأة واللغة:٨

(٢٨) ينظر: ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة ، د. عبد الله الغذامي:٧

(٢٩) تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، عبد الله الغذامي:٧

(٣٠) أخبار الوافدات من النساء:١٠-١١(مقدمة التحقيق)

(٣١) ينظر: الخبر السردي في كتاب أخبار النساء ، د. جاسم شاهين كاظم(بحث منشور على شبكة الأنترنت)

(٣٢) ينظر: أخبار الحمقى والمغفلين، أبن الجوزي: ١٢-١٣(مقدمة الناشر)

(٣٣) الموسوعة الفلسفية، لجنة العلماء والأكاديميين السوفياتيين: ١٣٩-١٤٠

(٣٤) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، دنيس كوش، ترجمة :د. منير السعيداني: ١٥

• شرح الراوي

(٣٥)النساء/٢٠

(٣٦) بلاغات النساء: ١٢٧-١٢٨

(٣٧) خطاب الآخر، خطاب نقد التأليف الأدبي الحديث إنموذجاً، د. عبد العظيم رهيف السلطاني: ١٤

(٣٨) قضايا المرأة بين جدلية العرف وتأويل النصوص د. رقية طه جابر العلواني، جامعة البحرين (بحث منشور على شبكة الأنترنيت)

(٣٩) نقد الخطاب السلفي(**أبن تيمية إنموذجاً**): ٩٥

(٤٠) المائدة/ ١٠١

(٤١) أخبار الوافدات: ٣٧-٣٩

(٤٢) ميشال فوكو المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي: ٣٣

(٤٣) ميشال فوكو، المعرفة والسلطة: ٣٤-٣٥

(٤٤) المستظرف من اخبار الجواري: ٤٤

(٤٥) المستظرف من أخبار الجواري: ٧٠

(٤٦) ينظر: السرد العربي القديم: ٥٢

(٤٧) ينظر: البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ ، محمد مشبال: ٩-١٠

(٤٨) ينظر: بلاغات النساء: ٤، ١٦، ٢٧، ٣٠ (كما في شخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وامهات المؤمنين(رضي الله عنهن).

(٤٩) ينظر : الحدائق الغناءّ: ٤٦(شخصية أم الدرداء مثلاً)

(٥٠) ينظر: الحدائق الغناء: ٣٢(شخصية مؤمنة بنت بهلول العابدة)

(٥١) عيون الأخبار: ١/ح (مقدمة المؤلف)

(٥٢) ينظر: خطاب الجنس (مقاربات في الأدب العربي القديم)، هيثم سرحان: ١٨٧

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أخبار الحمقى والمغفلين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، سلسلة الكتاب للجميع ، دار المدى ، سورية ، ٢٠٠٧م.
- أخبار النساء، أبن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، عرض وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٢م.
- أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن ابي سفيان ، العباس بن بكار الضبي (ت٢٢٢هـ)، تحقيق: سنية الشهابي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٩٨٣م.
- أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر ، بيروت ، ط١، ٢٠١٢م.
- بلاغة التزوير (فاعيلية الأخبار في السرد العربي القديم)، د. لؤي حمزة عباس ، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م.

- بلاغات النساء وجواباتهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور(ت٢٨٠هـ)، تحقيق: بركات يوسف هبود ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١ ، ٢٠٠٥م
- تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، عبد الله محمد الغذامي، مركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٥م.
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والأقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، القاهرة، ٢٠١٤م.
- الحدائق الغّناء في أخبار النساء، تراجم شهيرات النساء في صدر الإسلام، ابو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي (ت ٦٠٥ هـ) ، تقديم: د. عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، (د.ط)، ١٩٧٨م.
- ثقافة الوهم(مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي، بيروت الدار البيضاء، ط٣، ٢٠١١م.
- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة وتطبيق المساكين للرافعي) ، هاجر مدقن ، منشورات ضفاف ، منشورات الإختلاف ، ط١ ، ٢٠١٣
- الخبر السردي في كتاب أخبار النساء ، د. جاسم شاهين، منابر ثقافية.www.mnaabr.com .
- خطاب الجنس (مقاربات في الأدب العربي القديم)، هيثم سرحان، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٠م.
- خطاب الآخر ، خطاب نقد التأليف الأدبي الحديث إنموذجاً، د. عبد العظيم رهيف السلطاني ، دار الأصالة المعاصرة، بنغازي، ليبيا، ط١، ٢٠٠٥م.
- الخطط المقريزية، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) ، تحقيق: د. محمد زينهم، مطبعة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله محمد الغذامي، دار سعاد الصباح ، الكويت، ط٣، ١٩٩٣م.

- السرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات)، إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- سردية الخبر العربي القديم، تمثلات العقل في أخبار الحكم والباه والنساء، عقيل عبد الحسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
- الفهرست، أبن نديم أبو فرج محمد بن أبي يعقوب أسحق المعروف بالوراق، (ت ٤٣٨ هـ) تحقيق: رضا تجدد، طهران.
- لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت .
- كتاب بلاغات النساء لأبن طيفور دراسة نقدية، مسعودي سعاد، سالة ماجستير مقدمة إلى جامعه مولود معمري يتنرني وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والادب العربي، ٢٠١٢م.
- عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، إحسان عباس، دار الشروق، عمّان، الأردن، ١٩٨٨م.
- عيون لأخبار ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ط)، (د.ت).
- المرأة واللغة، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٦م.
- المستظرف من أخبار الجواري، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، حققه: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٧٦م.
- مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية ، دنيس كوش، ترجمة: د.منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، مراجعه : د. الطاهر لبيب، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- الموسوعة الفلسفية، لجنة العلماء والأكاديميين السوفياتيين، بإشراف : روزنتال ويودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧٤م.
- مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، عبد الرحمن حجازي، مجلة علامات في النقد، جدة، مج١٥، ج٥٧، سبتمبر، ٢٠٠٥م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ت٦٢٣هـ)، مطبوعات دار المأمون، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- ما ألف عن النساء، صلاح الدين المنجد، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي، سورية، مج١٦، لسنة ١٩٤١م.
- المنازل والديار ، اسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)، تحقيق : مصطفى حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- نظام التأليف في (نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة) لأبي علي المحسن بن علي التنوخي، رسالة قّدمها وليد مزهر انتيش الصخي الى جامعة البصرة /كلية الآداب،٢٠١٣
- نقد الخطاب السلفي(أبن تيمية نموذجاً) رائد السمهوري ، طوى، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.